

شرح الحكم العطائية

(129) ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار .
أي ما طلب لك - أيها المريد - الحوائج من الله تعالى شيء مثل الاضطرار إليه إذ به تقع
الإجابة لقوله سبحانه : { أَمَّسَّكَ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ } (62) النمل .
فقوله طلب مبني للفاعل الذي هو شيء فيكون شبه الاضطرار بشخص طالب . ويحتمل بناؤه
للمفعول وشيء نائب فاعل على معنى أن أحسن مطلوب يطلبه العبد الاضطرار وهو أن لا يتوهم من
نفسه حولاً ولا قوة ولا يرى لنفسه سبباً من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه بل يكون
بمنزلة الغريق في البحر أو التائه في التيه القفر لا يرى لغيائه إلا مولاه ولا يرجو لنجاته
من هلكته أحداً سواه . والذلة والافتقار أمران موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد
المتصف بهما وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } (123) آل عمران . فذلتهم أوجبت عزتهم ونصرتهم كما قيل في هذا
المعنى : .

وإذا تذلت الرقاب تقرباً منها إليك فعزها في ذلها .

وما ألفت قول بعضهم : .

حيث أسلمتني إلى الذال واللام تلقيتني بعين وزاي .

وافهم هاهنا قوله A : " لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة " .

ص 103 .

(130) لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً . ولكن
إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك
إليه .

أي لو أنك لا تصل إلى الله تعالى - أيها المريد - إلا بعد فناء مساويك أي عيوبك ومحو
دعاويك التي تدعيها من نسبة الأعمال إلى نفسك لم تصل إليه أبداً لأن المساوي والدعاوي
طبعك ولو لم يكن إلا إرادتك تحصيل هذا الغرض بنفسك لكان كافياً فلو تأملت وجدت محاسنك
كلها مساوي ولو كنت رأس المخلصين وأحوالك كلها دعاوي ولو كنت أصدق الصادقين . {
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَايَكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
أَبَدًا } (21) النور . ولذا قال أبو العباس المرسي : لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع
عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى يعني انقطاع أدب لا انقطاع ملل . وقوله : غطى وصفك بوصفه
أي أظهر لك من صفاته السنية ما تغيب به عن صفاتك البشرية فتكون في مقام الحب الذي قال

في صاحبه : " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش به
ورجله التي يمشي بها " . وصاحب هذا المقام لا تكون له إرادة مع مولاه لأنه ما وصل إلى
الآن إلا بما من الله . { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ } (54) المائدة